

## منح قاتله وشاح حسن النية

بقلم سمير عطاالله

"انه نظام الحريات. الحرية بالنسبة الى لبنان قضية بقاء او زوال أكثر مما هي نظام حكم او وجهة نظر. وراء هذا الواقع الحتمي تكمن حقيقة استمرار لبنان، حتى في أحلك ساعاته، ممثلاً النظام الديمقراطي الاول في هذا الجزء الفسيح من العالم".

منوال يونس

كانت لكامل مروة ورياض طه وسليم اللوزي دور صحافية. وكانت لهم أدوار سياسية وعلاقات وثيقة مع عدد من الحكام العرب. وقد نشط كامل مروة ورياض طه في وساطات وتوافقات كثيرة، تخطت أحياناً حجم داريهما وصحفيهما معاً. والمقارنة بين استشهاد أعلام ذلك الرعيل واستشهاد سمير قصير فيها رفع لغيابه، لكن فيها كذلك تجاهلاً غير مقصود لنضرتة السياسية. فلم يكن من امامه او من ورائه سوى فكرة الحرية وثقافتها. ولم يكن يمثل مؤسسة او تياراً او دولة او مرحلة تصادمية، بل كان مجرد فرد يلحى مثل ارنتو غيفارا ويتحدث مثل دون كيشوت. وكان تلامذته خلفه مثل بانشو،

- التتمة في الصفحة 12 -

## منح قاتله وشاح حسن النية

تتمة المنشور في الصفحة - 1 -

يشككون في فكرة كسر الطواحين لكنهم يعشقونها ويحبون كلمات سيدهم الذي أشهر سيفه في وجه الطواحين وأشهر حلمه في وجه التاريخ. ولا يزال الحلم حياً وجميلاً بعد خمسة قرون على تحديات رجل لامناشا.

كان دائم الابتسامه كأنه خارج من حلم وداخل آخر. ولم يكن يهمه كثيراً من يقرأ ومن يصفق ومن يحق. فهو ذو انتماء واحد لا انتماء سواه: الحرية وقيمها الانسانية، وكيف نرتقي بالعبيد اليها، تبعاً أو جلادين. كان يريد ان يشرك في هذه الثقافة جميع الأمة، لانها الطريق الى الخلاص. ثمة اتجاه واحد لطرق الخلاص: الصعود.

على ان سمير قصير لم يكن على الارجح من قراء محمد الماغوط، والا لعرف ان "اللجنة العربية الدائمة للحريات العامة" مؤلفة من: "سيف الدين، سيف الرحمن، سيف بن المنذر، سيف بن النعمان، سيف بن لقمان، سيف بن ذي يزن".

يروى الماغوط ان الحرية قرعت بابه وهو مريض ومزكوم ومتدثر في الفراش: "هل اصدقها بهذه السهولة؟ من يؤكد لي انها الحرية فعلاً، وأنا الذي لم اسمع لها صوتاً ولم اعرف لها شكلاً أو لوناً أو ملمساً من قبل؟".

انه الشرق. وفي الشرق لا تموت الناس من أجل الحرية. فأنت لا تفتقد ما لا تعرفه. ومن زمن بعيد لم تعد الحرية شرطاً من شروط الكرامة البشرية. هي أيضاً حوّلت الى نسي منسي، مدفونة تحت ذل الفقر والعوز وشرعة الخنوع للافندية الذين هم صوت صرير الجزمة، التي هي بوابة الحياة والموت.

الذين ينسون تقاليد الشرق، يذكّرهم حراسها على طريقتهم. مستخدمين من الغرب فقط مخترعاته في اسلحة الالغاء. انه شيء لا يطاق، ذلك الآخر، خصوصاً في موسم كهذا، تدعى فيه الجموع الى زرع الحرية، لعل الجنى يكون احراراً وسادة ذوي افئدة واسعة وجبين مرتفع وعقل مترفع عن صفارات النأر وضعة الانتقام. عقل يبني ويعمر ويجوب الآفاق بحثاً عن المستقبل، بدل التعفن رطباً في هلاميات الحقد.

عدت الى فكر الدكتور منوال يونس في استذكار سمير قصير، لأذكّر بصف طويل من أهل النخب العلية التي حال الصدا الشرقي دون وصولها الى مواقع القباطنة. تقدموا نحو العمل الوطني ولا يزالون، مشبعين بقناعة حضارية انه حتى في ذورة عتيمهم الاستعماري "اضطر العثمانيون منذ القرن السادس عشر الى الاعتراف بحق لبنان في قسط مهم من الحرية، وفي ان يكون له حكامه المحليون واوضاعه الخاصة. فاستثنى لبنان، في مجال الحرية والازدهار، من النظام الجائر الذي فرضته الامبراطورية".

الحكم معرفة قبل اي شيء. وهو خصوصاً معرفة بالتاريخ. ليس من اجل تسخيرها للمرج او في تبرير الأفك، ولكن من اجل قيادة الناس تحت مصابيح الفكر وشموع الكرامة. فالشموع ليست فقط لجنانات الحرية والاحرار بل في ضوئها اشتغل المفكرون والعلماء العلامة وذوو الحجى وعاملو الحسنات والمجتهدون الذين اتوا واطنهم وشعوبهم اعمالاً واناراً ورسائل، وليس الذين ملأوا الارض لغوا وهرطقة ونفاقاً سياسياً مهينا لعقول الناس ومشاعرها الحرى.

لم يكن سمير قصير جزءاً من اللعبة السياسية اللبنانية او العربية، من الداخل او من خارجها. لم يكن لديه حتى سائق يحمل له السترة التي القاها على كتفه بوداعة كالمتنزهين، وهو يدير مفتاح موته، مغدقا على القاتل اوشحة حسن الظن وحسن النيات، ومتشحاً، هو، بردائه الانساني العظيم.

"انا انسان، اذن يحبني الناس، اذن يثقون بي، اذن يصدقونني، اذا كانوا يصدقونني فسوف يثقون بالاصلاحات التي اناذي بها". هكذا كان يؤمن استاذة دوستوفسكي. وكان معلمه الآخر ومبهره جورج شحادة يقول: "انا صديق للناس". ولم يهمهما في اي لحظة، هو ومبهره، ان يكونا صديقين للافندية التركية وجزمة المصير الشرقي. كان سمير قصير فكرة نبيلة ولحية غيفارية عذبة وتمثالا من تماثيل الحرية الانسانية. ولا يزال.

سمير عطاالله